# سيملوجيا الرمز التشكيلي

**سليمان يحي محمد و راحيل كمال حسن صالح العريفي**

[1,2] جامعة السودان للعلوم والتكنلوجيا – كلية الفنون الجميلة والتطبيقية

**المستخلص:**

ان العلاقة بين الدال والمدلول هي علاقة اصطلاحية وهي بمثابة علاقة السبب بالمسبب وهي تصدر عن توافق بين مستعملي العلاقة ، حتى في حال وجود علامات معللة او اغراض طبيعية تستخدم كعلامات . وغالباً ما يكون الاصطلاح مضمرا او معلنا في الآن ذاته ، ان الدلالة المضمرة وهي تلك التي تكون كامنة في اللاواعي وحتى وان طرحت بشكل معلن تحمل في جزيئتها مزيداً من الترميز .

ان الدلالة في اطارها الموضوعي تشير الى معنى ويتفق البعض ان مفهوم (المعنى) هو الفكرة التى تمثلها العلامة او الفكرة التي يمكن ان تنسب الى موضوع التفكير ان استطراد المعاني في الرمز الواحد يشير الي ان المعنى يتعلق بعلاقة وهذه العلاقة تغلف كل معنى بمعنى جديد. إن السيمياء هي علم العلامات اذا توجب اوكل التجربة تشمل كل المعرفة لان كل شيء علامة وكل شيء اذا مدلول وكل شيء اذن دال وهنا يصبح كل ما حولنا خاضعا لانظمة علامات ورموز تصنف حسب وظائفها واستعمالاتها ولكن يهمنا هنا الرمز البصري (التشكيلي) وهو يصنف تحت انظمة الرموز الجمالية والواقع ان، العلاقة بين الشيء الجمالي ودلالته لاتعطي الا كتاكيد مباشر ومضمر, ان الرمز باعتباره رسالة ، فأن الرسالة الجمالية شبيهة بالرسالة السريالية او الفوق واقعية واللامرئية ، فالمعنى المنطقي منظم تنظيماً رمزياً مغلقاً (لا يحتويه غموض ) . ويظل حقل النظام الرمزي متفاوت الانفتاح . يخضع لتاؤيل المتلقي.لابد من الانتباه الى درجات الترميز وبالتالى الى النظام الدلالي الذي يتعلق بها ويراعى اختلاف العصور والحضارات والثقافات وأمزجة الذين يدورون في الفضاء الخطابي لانظمة الرموز.

**الكلمات المفتاحية :** *الرمز – الدلالة – الواعي والاواعي – التداعي الدلالي*

**ABSTRACT:**

The relationship between the signifier and the signified is an idiomatic relationship similar to the one between cause and effect that arises from an agreement among the partakers of the relationship even in the inexistence of reasoned signs or natural purposes that are used as marks. The symbolic meaning is often simultaneously implicit and professed. Moreover, implicit significance, which usually latent and unconscious embraces more symbols even if it is stated.

The significance, in its objective framework, refers to some meanings. Some might agree that the concept (the meaning) is the idea represented by the mark or the idea that can be attributed to the subject of thinking. Whereas, the varied meanings per symbol indicates that the meaning is of respect to relationship and this relationship laminates every meaning with a newer one. Semantics is the study of meaning in language it focuses in the relationship between signifiers like words, phrases, signs and symbols and what they stand for, accordingly everything around us becomes entitled to it as systems of signs and symbols classified according to their functions and use. The subject of concern in this study is the

visual symbol in Plastic Art which is classified as an aesthetic symbol. In fact, the relationshipbetween the aesthetic object and its significance directly ensures the affirmative and the implied.
The symbol as a message is similar to the aesthetic message in Surrealism or Ultra-realistic and the Obscure. Moreover, the logical meaning is orderly structured symbolically and closed (does not comprehend ambiguity) and the symbolic order field remains unevenly open and subject to the interpretation of the recipient. It is important to pay attention to the degree of symbolizing and hence to the related semantic system. It's equally important to take into account the different historical eras, civilizations, cultures and moods of those who are trapped in a rhetorical zone of symbols systems.
**Key words** :*Symbols – significance- signifier - signified- Plastic Art*

**المقدمة:**

ان الدلالة في اطارها الموضوعي تشير الى معنى ويتفق البعض ان مفهوم (المعنى) هو الفكرة التى تمثلها العلامة او الفكرة التي يمكن ان تنسب الى موضوع التفكير ان استطراد المعاني في الرمز الواحد يشير الي ان المعنى يتعلق بعلاقة وهذه العلاقة تغلف كل معنى بمعنى جديد ، واذا كانت السيمياء علم العلامات اذا توجب اوكل التجربة تشمل كل المعرفة لان كل شيء علامة وكل شيء اذا مدلول وكل شيء اذن دال وهنا يصبح كل ما حولنا خاضعا لانظمة علامات ورموز تصنف حسب وظائفها واستعمالاتها ان العلاقة بين الدال والمدلول هي علاقة اصطلاحية وهي بمثابة علاقة السبب بالمسبب وهي تصدر عن توافق بين مستعملي العلاقة ، حتى في حال وجود علامات معللة او اغراض طبيعية تستخدم كعلامات . وغالبً ما يكون الاصطلاح مضمرا او معلنا في الآن ذاته ، ان الدلالة المضمرة وهي تلك التي تكون كامنة في الاواعي وحتى وان طرحت بشكل معلن تحمل في جزيئتها منيداً من الترميز .

تعنالورقة بالرمز البصري (التشكيلي) وهو يصنف تحت انظمة الرموز الجمالية والواقع ان، العلاقة بين الشيء الجمالي ودلالته لاتعطي الا كتاكيد مباشر ومضمر, ان الرمز باعتباره رسالة ، فأن الرسالة الجمالية شبيهة بالرسالة السريالية او الفوق واقعية واللامرئية ، فالمعنى المنطقي منظم تنظيماً رمزياً مغلقاً (لا يحتويه غموض ) . ويظل حقل النظام الرمزي متفاوت الانفتاح . يخضع لتاؤيل المتلقي.لابد من الانتباه الى درجات الترميز وبالتالى الى النظام الدلالي الذي يتعلق بها ويراعى اختلاف العصور والحضارات واثقافات وامزجة الذين يدورون في الفضاء الخطابي لانظمة الرموز .

من جهة اخرى لابد ان اشير الي علاقة الرمز بتفسيرات وانظمة العلامات في المدارس اللسانية لكون الرمز التشكيلي يشترك مع العلامة في محوري الدال والمدلول وعليه سوف نستعير هذه التطبيقات بشكل موضوعي وتضميني وفي حدود شروحات مفهوم الدلالة اذا ما وضعنا في اعتبار ان لها علاقة بالتلقي ومفهوم الادراك.

**العمليات النفسية التي توثر**

**في عملية تكَون دلالة الرمز التشكيلي**

ان خطاب الرمز التشكيلي ترتبط عدة عمليات ادراكية ودوافع تنشيء الرموز ومن ثم تتداعى الدلالات المرتبطة بها، الدوافع وهي " حالة سيكولوجية وتختلف من فرد إلى آخر كذلك فهو وثيق الصلة بعمليات الانتباه

والإدراك والتذكر والتخيل والتفكير والابتكار والتعلم كما أنه يمس موضوعات الإرادة والضمير وتكوين الشخصية بطريقة مباشرة فالدوافع تنقسم الى دوافع فردية و دوافع اجتماعية وهي ترتبط بحاجات ودوافع الجماعة، ومن الدوافع ما هو شعوري أي يفطن الفرد إلى وجوده, او أن يكون كامناً غير مشعور المثير داخلياً أو خارجياً وهو ما يحمل الدافع من حالة الكمون إلى حالة النشاط. يري عبد الرحمن عسيوي أن " الوجه الداخلي للدافع يسمى الحافز وهو مجرد دفعة من الداخل في حين الدافع يعني دفعة في اتجاه معين إذن الدافع هو سبب السلوك وغايته في آن واحد كما يرتبط بالدافع الباعث وهو يعتبر موقفاً خارجياً مادياً أو اجتماعياً يستجيب له الدافع" عبد الرحمن عيسوي :79 والبواعث التي توجه دوافع الفنان التقليدي تختلف من البواعث التي تثير دوافع الفنان التشكيلي الأكاديمي إذن البواعث تختلف باختلاف الأفراد وطرق تفكيرهم وتجاربهم ،أي ان البواعث التي يستجيب لها مختلف الناس ذات دوافع مختلفة فالدافع قوة داخل الفرد والباعث قوة خارجة فالملصق التجاري يمكن أن يكون باعثاً ،والبواعث يمكن أن تكون إيجابية أو سليبة. وهذه العمليات تدخل في عملية صياغة الرمز التشكيلي بشكل أو بآخر وخاصة الرموز التشكيلية الشعبية تظهر بصورة أوضح ولكن الرموز التشكيلية الأكاديمية يحدث في صياغة الرمز عمليات مختلفة ومعقدة والدوافع التي ترتبط بها دوافع مختلفة ومعقدة لأنها ترتبط بالدوافع الجمالية أو الحاجات الجمالية. كما أن من العمليات السيكولوجية التي ترتبط بصياغة الرمز البصري ،الرغبة ولها ارتباطاً بالدوافع فهي تمثل الشعور أو الميل نحو أشخاص أو أشياء معينة فالرغبة تنشأ من تفكير الفرد فيها أو تذكره إياها أو إدراكه الأشياء المرغوبة

ان غاية كل سلوك أو هدفه هو النهاية التي يقف عندها السلوك المتوصل والسلوك يكون في العادة شيئاً خارجياً .الفنان التشكيلي التقليدي تحكمه اتجاهات خاصة ودوافع كامنة في صوغ الأعمال الفنية والتي يعتبر الرمز التشكيلي عنصراً حيوياً بها وحتى اجتهاده ومثابرته في انجاز عمله بصورة جميلة ومقنعة للشاري أو للفرد الذي يريد أن يمتلك هذا العمل تتعقد العمليات النفسية التي ترتبط بإخراج هذا العمل. لذلك يرتبط أيضاً الرمز البصري، الغرض فهو ما يتصوره الفرد في ذهنه من غايات يقصد إلى بلوغها أو يعزم على تجنبها والغرض دافع شعوري يثير السلوك ويوجهه الإنسان الى الوسائل الملائمة لتحقيقه وترى المدارس الفرضية أن هناك أغراضاً لا شعورية وهذه الأغراض في رأيي ترتبط بالأمزجة الفردية والاتجاهات الفكرية المختلفة .

**الدوافع الاجتماعية**

يرتبط بالرمز من الدوافع ما يسمى بالدوافع الاجتماعية و هي التي يكتسبها الفرد نتيجة خبراته اليومية وتعلمه المقصود وغير المقصود أثناء تفاعله مع بيئته الاجتماعية وهذه الدوافع الاجتماعية لا حصر لها وتتمخض عن أنواع من السلوك كما تسمى بأسماء مختلفة الميول المكتسبة والعادات المختلفة والأهداف والمثل. أن العمليات التي تدخل في صياغة الرمز التشكيلي ترابطية أو متسلسلة لأنها ترتبط كما ذكرت بالميول والاتجاهات والرغبات .يرى بعض العلماء أن جميع الدوافع الاجتماعية تنبثق من الدوافع الفطرية أو هي وسائل لإرضائها في الحاضر أو المستقبل.

**عمليات التلقي**

إن عمليات التلقي عموماً ترتبط بالفرد باعتباره كائناً له ميوله وتجاربه الواقعية والحسية وله خبرته الحياتية كما لديه خبرته ومخزونه البصري والفكري، والمتلقي من داخل الثقافة تختلف قراءته للنص البصري عن النص اللغوي وإن كانت الدلالة اللغوية تدخل في النص البصري في بعض الأحيان فاسم اللوحة لا يتفق

بالضرورة مع الموضوع المرسوم في اللوحة لأن المدلول لدى الفنان يحمل دلالة مستبطنة وليس بالضرورة ان تتوافق مع اسم اللوحة اومع طرق تفكير المتلقي.

ان المتلقي من داخل الثقافة عليه إدراك ما تحتويه ببيئته ، وتفاعله معها يتطلب منه بالضرورة أن يعرف هذه البيئة وأعني بالبيئة الاجتماعية والتاريخية والثقافية ،والاقتصادية، والسياسية،والطبيعية حتى يتسنى له التكيف معها واستغلالها كما ينبغي كما عليه اشتراكه في أوجه النشاطات المختلفة، وقبلاً عليه أن ينتبه إلي كل ما يهمة من هذه البيئة وأن يدركه بحواسه . يري عبد الرحمن عيسوي أن " الانتباه و الإدراك الحسي هما الخطوة إلي اتصال الفرد ببيئته وتكيفه معها بل هما الأساس الذي تقوم عليه سائر العمليات العقلية الأخرى فمن غيهما ما استطاع المتلقي أن يعي شيئاً أو أن يتذكر أو يتخيل شيئاً أو أن يتعلم شيئاً أو أن يفكر فيه فلكي نتعلم شيئاً أو نفكر فيه يجب أن ننتبه إليه وأن ندركه "(عبد الرحمن عيسوي1990، ،55)

لقد جمعت بين الانتباه والإدراك في عملية الاستجابة للرمز البصري لأنهما عمليتان متلازمتان في العادة فإذا كان الانتباه علي حد قول أحمد عزت راجح هو" تركيز الشعور في الشيء فالإدراك هو معرفة هذا الشيء فالانتباه يسبق الإدراك ويمهد له أي أنه يهيئ الفرد للإدراك اذا كان الانتباه يرتاد ويتحسس فإن الإدراك يكشف " (احمد عزت:1999: 190). من جهة أخري ثمة فارق بين الانتباه والإدراك فقد ينتبه جمع من الناس إلى لوحة تشكيلية لكن يختلف إدراك كل منهم لها عن الآخر اختلافاً كبيراً وذلك لاختلاف ثقافتهم وخبراتهم السابقة ووجهات نظرهم وذكائهم ودوافعهم. يذخر الذهن بسيل من الخواطر والأفكار ولكن لا ينتبه الفرد إلى جميع هذه المنبهات بل يختار منها ما يهم معرفته أو عمله أو التفكير فيه وما يستجيب لحاجاته وحالاته النفسية الوقتية والدائمة وكما أنه يختار بعض الموضوعات ويركز شعوره فيه ويتجاهل ما عداه ولا يهتم له وتسمي عملية الاختيار هذه بالانتباه" ( احمد عزت ،1999، 191).

إن عملية الاستجابة للرمز التشكيلي تتطلب عملية تفكير وإحساس وإدراك واسترجاع للمكنون الدلالي للرمز الواقع أو المدرك أو المثير للانتباه والاختيار في العادة استعداد الفرد وتهيئته لملاحظة شيء دون آخر أو التفكير في شيء دون آخر. فإذا كانت قاعة العرض تمثل تهيئة الفرد للانتباه للأشياء دون الأخرى إذن الاختيار تهيئ ذهني هو توجيه الشعور وتركيزه في شيء معين لملاحظته أو أدراكه أو التفكير فيه إذن عملية الاختيار والتهيؤ تلقي الرمز البصري تتطلب جانباً حسياً لحظياً ، في هذا الصدد ذكر احمد عزت " أن الإنسان عندما يكون منتبهاً إلى شيء وحدث له تهيؤ ذهني وحسي وصار محورتركيزه وأفكاره وحواسه لهذا الشيء المدرك فهو لا يشعر بما حوله من الناس والأشياء اللاشعور أو غامضاً في هذا الحال يمكن أن نقول أن موضوع انتباهه يمثل بؤرة الشعور لديه كما يوجد الانتباه التلقائي وهو انتباه الفرد إلى شيء يهتم به ويميل إليه وهو انتباه لا يبذل الفرد في سبيله جهداً بل يمضي سهلاً " (احمد عزت ،1999، 191).

ان الانتباه يرتبط بالمثير وهو الذي يجعل المنبهات والمواقف تجذب انتباهنا إلى العوامل التي تهيمن على اختيار المنبهات ولكن هذه المثيرات ترتبط بعوامل داخلية مكانية تعارض أثرها أو تحقق من قوتها. ترتبط بالانتباه عوامل خارجية مثل شدة المنبه خارجياً .مثلاً اللوحات الإعلانية التي تحتوي على خطاب بصري محدد ويستنبط من ثروة الرموز وسوقها المليء عليها أن تجذب الانتباه أما بكبر مساحة الإعلان أو الأضواء الجانبة أو الألوان بكل ما تحمل من دلالات كما أن هناك أيضاً تكرار المنبه وهذا نلمحه في الزخارف الشعبية حيث تتسم بالشكل النمطي التكراري في الزخرفة حيث يستمر الشكل مثلاً زهرة الزوليتا شكل رتيب أو بطريقة

التقابل أو التناظر أو التباين وهذا التكرار في الزخارف ينتج لنا سلسلة من العمليات الإدراكية بما أن هناك عوامل خارجية أيضاً في إدراك الرمز التشكيلي.

أيضاً هناك عامل خارجي آخر هو التباين وهو ان كل شيء يختلف اختلافاً كبيراً عما يوجد في محيطه من المرجح أن يجذب الانتباه إليه ممثلاً نقطة حمراء تبرز في مجال انتباهنا إن كانت وسط نقطة سوداء ، كذلك فأن العمل الفني والذي يتضمن الرمز التشكيلي فإننا نلمح إيقاعا داخلياً للعمل الفني هذا الإيقاع يضفي نوعاً من الحركة الداخلية للعمل. هذه الحركة تفضي بدورها إلى نوعٍ من التغير يعتبر من عوامل الانتباه الخارجية وهي تجذب وتحرك المتلقي من نقطة إلى أخرى.

يستلزم الاستجابة للرمز التشكيلي " عمليات حصر الانتباه أي إذا كان هناك تهيئ مكان قاعة العرض مثلاً فإن المتلقي يحصر انتباهه على كل عمل بشكل آلي وأحياناً لا يثبت الانتباه على شيء واحد إلا لحظة وجيزة من الزمن، إن عملية الانتباه شديدة التعقيد ترتبط بعدة عمليات كما ترتبط بذات الفرد المتلقي أو المنتبه للعمل الفني الواقع أمامه.

**الإدراك الحسي**

" الإدراك عملية عقلية يلعب فيها العقل دوراً مهماً يضيف ويحذف وتؤول ما يتأثر به من إنطباعات حسية كما أنها عملية معقدة كونها تتدخل فيها الذاكرة والمخيلة وإدراك العلاقات في تأويل ما ندرك كما أنه يتأثر بعوامل جسمية وعقلية واجتماعية ووجدانية والميول والعواطف والرغبات (أحمد عزت راجح،1999، ص ،213 ) كما ان عملية الإدراك تسير من الكل أو المجمل إلى المفصل إذن إن ادارك الصيغة سابق لإدراك أجزائها كذلك نجد أن " عملية الإدراك ترتبط بشكل أساسي بصيغ إدراكية محددة فاللون الأحمر الذي يرمز إلى التوقف عن السير في الشارع يختلف إن كانت إحدى الفتيات ترتدي لوناً أحمر إذن هناك أشياء تعرف وجودها على إدراكنا فرضاً دون سواها من الأشياء وهذه الأشياء تسمى اصطلاحاً بالصيغ الإدراكية، تختلف الصيغ فيما بينها من قوة وضعف فهناك صيغ قوية تجذب الانتباه إليها جذباً شديداً وأخرى ضعيفة لا تجذب الانتباه إلا بمقدار.

يرى علم النفس الترابطي القديم " إن أدراكنا العام الخارجي يبدأ بإحساسات منفصلة يترابط بعضها مع بعض حتى يتألف منها الكل الإدراكي وليس لهذا الكل الإدراكي وجود حقيقي أو خصائص يتميز بها ،أي أن الأشياء بما تحوي من واقع مكاني تكون بمثابة البناء المتكامل ، أي إذا كان العالم الخارجي فوضى من الرموز فإن العمليات الإدراكية بالفعل وما لديها من معاني ودلالات يقوم بتنظيم فوضى هذه الرموز عند المدرِك. من جهة اخرى أن علم النفس الترابطي يعطى الذاكرة والخبرة السابقة أهمية خاصة وبالغة في عملية الإدراك فهو يعرف الإدراك بأنه تعرف الأشياء المألوفة عن طريق التعلم والإلفة والخبرة السابقة و التعرف هو شعور الفرد أن ما يدركه الآن جزء من خبرات سابقة . هناك أفراد يستعينون بخبراتهم الدلالية أن يصبغوا دلالات علي الجديد من الرموز البصرية وذلك يخضع إلي التأمل الداخلي للفرد وفي ذلك ترى مدرسة الجشطالت " أن التأمل الباطن لا يصل إلى وجود هذه الإحساسات المستقلة إلا بعد عملية تفكيك مصطنعة أي أن المستبطن عندما يقوم بالتحليل ومن ثم يبدأ من حالة شعورية عامة إجمالية مبهمة يتعذر تحليلها ووصفها ثم يأخذ في تفكيكها والانتباه إلى كل جزء منها على حدة فما يصفه الاستبطان إذن لا يعني أنه موجود في عقولنا أو حتى في عقل المستبطن نفسه قبل أن يبدأ التحليل أي الإحساس فهو لا يوجد مستقلاً بذاته بل يوجد مندمجاً في صيغة ما تحتويه فتفقده صفته الخاصة به أنه عنصر مجرد لا يقابل شيئاً واقعياً .من جهة أخرى تهتم الجشطالت " لدور

الذاكرة في الإدراك حيث ترى أن الإضافة التي تخلقها الذاكرة ليست هي التي تجعلنا ندرك وجود الشيء بل هي التي تعيننا على تأويل هذا الشيء أي أن الذاكرة تعزز الإدراك ولا تخلقه ،ولكي يكتسب الشيء معنى ومدلولاً يجب أن يوجد أولا كشيء محسوس فوجود الشيء شرط لإدراكه لا نتيجة له

يعرف أحمد عزت راجح الإحساس بأنه " هو الأثر النفسي الذي ينشأ مباشرة من تنبيه وتأثر مراكز الحس مثل الاحساس بالألوان أو الأشكال أو الأصوات أو الروائ . لقد قسمها إلي ثلاثة أنواع ويهمنا الإحساسات البصرية وهذه ترتبط بالإدراك الحسي ولقد ذكر أنها " عملية معقدة لأنها ترتبط بشكل أساسي بالحس فإذا لم ندرك الأشياء دون الإحساس بها فلن تكون لدينا استجابة حيالها أياً كان شكل الاستجابة ولفقدنا التواصل بالبيئة التي حولنا بكل ما تحوي من أشياء ولكنا فقدنا قدرتنا على صياغة المعاني الخاصة بنا تجاه الأشياء التي تدور من حولنا "( أحمد عزت راجح ، 1999، ص00 2 ) إذن تستلزم عملية الإدراك جانب الإحساس بالمدرك وفي الرمز التشكيلي عبر الخطابات المعنية تكون هذه العلاقة شديدة التعقيد وفي نفس الوقت تعتبر عملية حيوية ومتجددة.

ان استجابتنا وإدراكنا ولحساسنا للرمز تنتج عنه معاني ودلالات كثيرة تتداعى في أثناء استجابتنا له كما تختلف هذه الإدراكات على حسب الفرد ومدي خبراته البصرية وتجاربه الإدراكية والحسية وميوله وطرق تفكيره وتحليله لما يدركه وما يخلقه فيه من دلالات ومعاني لأن الإدراك الحسي يرتبط ويتضمن عملية تأويل الإحساسات تأويلاً يزودنا بمعلومات عما في عالمنا الخارجي من أشياء أو هو العملية التي تتم بها معرفتنا لما حولنا من أشياء عن طريق الحواس.

**مراحل الادراك الحسي**

ترى نظرية الجشطالت " أن العقل ليس هو الذي ينظم ما بالكون من الأشياء (المجال) وانما بفعل عوامل موضوعية من طبيعة هذه الأشياء نفسها لا نتيجة نشاط عقلي أو خبرات سابقة. وتعرف هذه العملية عند الجشطالت" بالتنظيم الحسي أو عوامل الصياغة وهي عوامل أولية فطرية لذا يشترك فيها الناس جميعاً وهذه العوامل تعمل على تنظيم المنبهات الحسية في وحدات، في صيغ مستقلة تبرز في مجال أدراكنا ثم تأتي الخبرة اليومية والتعلم فتفرع على هذه الصيغ معاني ودلالات وعلى هذا تمر عملية الإدراك بمرحلتين:

**أولاً: التنظيم الحسي** : وهو عملية فطرية سابقة على كل خبرة تتم بفعل عوامل موضوعية أنها ترتبط بقوانين وعامل التقارب أي أن التنبيهات الحسية المتقاربة في المكان والزمان تبدو في مجال أدراكنا وحدة مستقلة محددة وصيغة بارزة وعامل التشابه في التنبيهات الحسية المتشابهة مثل اللون أو الشكل أو الحجم ، تدركها صيغ مستقلة وهناك عامل الشمول فمثلاً إذا وضعنا نقاطاً على شكل نجمة سداسية فإن النظرة الشاملة لهذه النقاط تدرك من خلالها شكل النجمة السداسية.

**العامل الثاني:** عامل التماثل أي أن التنبيهات المتماثلة تمتاز على غيرها من التنبيهات فتبرز صيغاً وعامل الإغلاق حيث تميل التنبيهات والأشكال الناقصة إلى الاكتمال في إدراكنا "" أحمد عزت راجح:208. هذا الأمر يبدو أحياناً في الرمز التشكيلي أثناء تلقيه في الخطابات البصرية المختلفة حيث نجد أشارات إيحائية تقود إلى الإدراك الحسي و هذا يتأتى من مدى قابلية الفرد إلى تلقي مثل هذه الإيحاءات الشكلية.

من جهة أخري يرى احمد عزت" أن هناك اتجاهاً فطرياً إلى إكمال الأشياء والأعمال المبتورة هو الذي يميل بنا أيضاً إلى إفراغ معنى على الأشياء والمواقف التي لا معنى لها كالأشياء المبتورة أو الناقصة أو غير المنتظمة تخلق منا توترات نفسية لا تزول إلا بإدراكها كاملة." (أحمد عزت راجح ،1999، 209)

**العملية الثانية** : عملية التأويل وهي تتم بفعل عوامل ذاتية ومن تفاعل هذه العوامل تتم عملية الإدراك الحسي التي يكون نتاجها تكون الدلالة أثناء تلقي الرمز البصري . وهو من أهم العمليات التي تدخل في عملية التلقي للرمز البصري ويعرفه احمد عزت " بأنه محاولة تكّون دلالة أو معانى لما يبدو من موجودات حولنا فإذا كانت هذه الموجودات لصيقة بنا وندركها من خلال الملاحظة للمواقف المختلفة وما تتضمنه هذه المواقف من دلالات ومعنى فإن هذا يسمى بالإدراك الاجتماعي أن هذه الصيغ إذا كانت مألوفة كان اجتماع المعاني والدلالات عليها من خلال عملية الإدراك الاجتماعي أما إذا كانت غريبة أو جديدة أو معقدة عجزنا عن إفراغ معنى عليها وتعرفها أو احتجنا الى شيء من الجهد والتحليل حتى يتضح لنا معناها" (أحمد عزت راجح،1999،209). هذا ما نلاحظه في عملية التلقي الشعبي عندما يقف أحدهم أمام عمل تشكيلي لفنان أكاديمي فإن اللوحة بالنسبة له تبدو كطلاسم أو صيغ غير مألوفة وعليه فك دلالتها ومحاولة تأويل معاني عليها وأحياناً يستعين بأحدهم حتى يحاول معه فك هذه الطلاسم " فالإنسان عندما يكون بصدد شيء مبهم وغامض أو مسرف في الغرابة يفسح أمامنا المجال لنؤوله تأويلات شتى وهي تأويلات تتوقف على حالاتنا النفسية المزاجية الدائمة والمؤقتة الشعورية واللاشعورية وعلى خبراتنا البصرية والدلالية. كذلك احياناً نؤول الحاضر في ضوء خبراتنا السابقة أي أن الأشياء المألوفة لدينا ندركها من ملامح مختصرة أو إشارات إذ تكفي سمة واحدة منها حتى يتم إدراكها فمثلا الرموز البصرية في خطاب الحس العام وهو يمثل خطاباً حيوياً حيث ينتمي إلي الحياة الشعبية ،نجد أنه يختلف الناس في إدراكهم للشيء الواحد اختلافاً كبيراً وذلك لما بينهم من فوارق في الخبرة البصرية والحياتية والذكاء والثقافة والمعتقدات ووجهات النظر .

أن " عملية اجتماع معاني على الصيغ الدلالية يتم بواسطة ما يعرف بأثر الملابسات في التأويل فما يسهم في تأويل المدركات ما يحيط بالشيء المدرك من ملابسات وما يقوم بينه وبين غيره من علاقات حيث يختلف معناه باختلاف الكل الذي يحتويه ، ومعني ذلك لا يمكننا أن نفهم دلالات الرموز إلا في السياق والفضاء الخطابي الذي توجد فيه . إذن التأويل يتوقف على الموقف الكلي الذي يوجد فيه الشيء لأن الجزء لا يمكن فهمه إلا في صلته بالكل الذي يضمه ويشتمل عليه . أي لا معنى له إلا في الكل الذي يحتويه فإذا انفصل عنه اكتسب معناً آخراً. تعبر مدرسة الجشطالت عن ذلك بقولها " أن أجزاء الصيغ لا معنى لها في ذاتها بل تشتق معناها وصفاتها من الصيغة التي تحتويها " (أحمد عزت راجح،1999،:21).

**ادراك اللون**

إن عملية رؤية الألوان وإدراكها عملية معقدة ولقد أهتم العلماء بقدرة الكائنات علي كيفية حدوث رؤية الألوان وتوصلوا مبدئيا إلي أن هناك جملةً من العمليات تتمحور وينتج عنها رؤيتنا للألوان فهناك عمليات فسيولوجية ترتبط بوظائف أعضاء العين كما يتطور الإدراك والإحساس باللون بالخبرة البصرية للإنسان ويتكون إحساسنا باللون من خلال تعلقنا بالبيئة المحيطة بنا وعبر ارتباطنا بهذه البيئة وتتمحور رمزية اللون في داخلنا ومن ثم نطلق الدلالات المتعددة للألوان وعند مرور السنوات تصبح هذه الدلالات " ذات رابط قوي بالثقافة لمجتمع معين " (أميرة حلمي مطر : 1995،ص 80) كذلك يرتبط إدراكنا للألوان من خلال السياقات والفضاءات

الخطابية التي تنور في فلكها..بذلك نجد أن هناك ارتباط لدلالات الألوان بالثقافة واستجابتنا للألوان كما أنه تتحدد استجاباتنا للألوان بالحالة المزاجية حيث أن الإحساس باللون يرتبط بالإحساس الفردي وهذا الأمر يختلف من فرد لآخر . كذلك ترتبط استجابتنا للون بما يعلق في مخيلتنا من عناصر ثقافية واجتماعية وسياسية وحتى اقتصادية وهذه العناصر هي التي توجه اختيارنا للألوان وأحياناً يرجع اهتمامنا للألوان إلى حاجات متعددة المفاهيم ودوافع وحاجات متنوعة وهذه كلها لها أثر في توجيه استجابتنا ولذلك تتحدد الدلالات للون حسب الإحساس الفردي إضافة إلى الدلالات المدركة من الثقافة المجتمعية المعنية والذهن البشري يتمتع بخاصية عالية من الاستجابات الدلالية للموجودات التي ترتبط بواقعه الزماني والمكاني واللون يمثل عنصراً حيوياً من عناصر تلك الموجودات. هذه الاستجابة تحكمها الكثير من العمليات والعلاقات فهي ترتبط بالعمليات العقلية كما ترتبط بالعقل والباطن ،ان الخبرة البصرية وعملية التخزين الدلالي للإنسان وما يرتبط باللون من عناصر طبيعية هي التي توسع دائرة إدراكنا للألوان فالألوان في حياتنا تحرك إحساسنا ومشاعرنا لذلك نجد أن علماء علم النفس يربطون بين الألوان والحالة المزاجية للفرد . كما أن اللون يؤثر فينا بأسلوب النمط الترابطي فالأحمر والأصفر مثلاً ألوان دافئة ترتبط بالشمس والنار والحرارة ولكن أن أثر اللون لا يؤثر فينا بأسلوب ترابطي فقط لأنها أحياناً تؤثر فينا دون أن نربطها بشيء مماثل .

" لقد قام العالم الفرنسي فير بتجارب على أثر اللون على الإنسان وانتهى إلى أن الألوان تؤثر على الجهاز العضلي والدورة الدموية كما أثبت أن فروق التخفيف للألوان تظهر باختلاف البيئة فأهل المناطق الحارة أميل إلى الألوان الحارة (الأحمر والأخضر ودرجاتها) وأهل المناطق البادرة أميل للألوان الباردة ،الأبيض والأزرق ودرجاتها. إذن استجابتنا للألوان تتحدد بنتائج تجاربنا السالبة والموجبة وهنا تفرض علينا نتائج تجربتنا السالبة والإيجابية مدى استجابتنا للون .

ويمكن ان نميز أربعة مظاهر من الاستجابات للألوان :

**المظهر الموضوعي:** حيث ينظر إلى خصائص الألوان وطبيعتها كأن تكون فاقعة أو فاتحة أي النظر إلى صفات اللون ذاته وهنا أن الاستجابة للون تكون بسيطة وهؤلاء الأفراد في رأي لا يتمتعون بالخبرة البصرية الوافرة والمخزون الدلالي المتنوع .

**المظهر الفسيولوجي:** أي النظر إلى أثر اللون على الإنسان فالانتباه لا يقع على اللون بل يقع على أثره علي الجسم العضوي وهذا الاتجاه يتفق مع تجربة فيزو حيث " يرى أن استجابتنا للألوان تؤثر على الجهاز العضلي والدورة الدموية أي اهتم بالعمليات التي تحدث في باطن جسم الإنسان أثناء استجابة الفرد للون والمظهر الفسيولوجي هنا يركز على الاستجابة الجسمانية أو العضوية كأن تقول لون مبهج أو لون حزين أو لون بارد أو دافئ ونلاحظ في هذا الاتجاه أن التذوق والاستجابة للون والإحساس به أكبر من السابق أي أن لذة الاستجابة للون لا ترجع إلى اللون بقدر ما تنصرف إلى أثره عليهم.

**المظهر الناتج عن التدعي الذاتي للون :** " اي أن يرتبط اللون بتداعي المعاني أو الأفكار أو الصور الذهنية لدي الأفراد أي أن دلالة اللون ترتبط بموضوع آخر يتذكره الفرد ومن ثم يضفي علي اللون صفة معينة وهذا النوع أو النمط من الأفراد ترتبط استجابتهم للألوان وتفضيلهم لها لأسباب خاصة شديدة التنوع".

**المظهر الرابع :** هو إكساب اللون صفة شخصية فنقول لون بريئ طاهر أو لون وحشي حيث نتحدث عن اللون كما لو كان به خلق فرد معين أي يتصف اللون بصفة حال أو مزاج أو خلق فنقول لون متحفظ هادئ مرح

نلاحظ أن أفراد هذا النمط أو المظهر يقرأون في اللون مشاعر وإحساسات خاصة بالشيء موضوع التأمل فيجدونها مبهجة أو حزينة أو مخلصة أو قلقة أو غامضة أو رقيقة والشخص الذي يحس به قد يقول بأنه يجعله كذلك, ويرى أبولو أن هذا النمط الشخصي أكثر الأنواع استطيقية واستجابته للون تكون أكثر الاستجابات حيوية وتدفقاً والفرق بينهما وبين استجابة النمط الفسيولوجي أنها لا توجه النظر إلى ما يجري في شعور الذات بل تحاول أن تخرج هذه المشاعر وتلقيها على الشيء كصفات فيه حيث يتحول الموضوع نفسه إلى اتخاذ صفات خاصة به لا الذات المدركة له فاللون الأحمر مثلاً يصبح دافئاً وليس الشخص الذي يحس به بحيث لا ينتبه إلى ما يجري في باطنه.

**دلالات اللون عند كاندنسكي**

الفنان التشكيلي العالمي كاندنسكي لقد تطورت على يديه نظرية الألوان الرئيسية وأنماط تأثيرها الحارة والباردة ودرجة إضاءتها وعتمتها كما ربطها بنغمات الآلات الموسيقية حيث يقول" إن الحرارة في اللون هي الميل نحو اللون الأصفر والبرودة هي الميل نحو اللون الأزرق كما أن الألوان الحارة تتحرك نحو المشاهد بينما الألوان الباردة تتحرك بعيداً عنه" ويضيف " أن اللون الأصفر الشديد لون عدواني يوحي بصوت البوق بينما اللون الأزرق هو اللون السماوي والذي يتبع اللون الأزرق يحفز عنصراً من الاستجابة وهو يوحي وفقاً لدرجة إضاءته وعتمته بأصوات الناى أو الكمنجة الكبيرة أو الأورغن و أن اللون الأخضر لون سلبي معجب بذاته ويصفه بأنه في عالم الألوان كالبرجوازي في عالم الإنسان, ويرى أن هناك تناقض دلالي بين اللون الأبيض والأسود حيث يري أن اللون الأبيض يرمز إلى عالم بعيد فوقنا كما يرمز إلى الصمت ليس الصمت المميت بل الزاخر بالطاقات حيث أنه يمثل فراغاً يؤكد البداية التي لم تولد بعد وعلى النقيض اللون الأسود وهو لون الصمت دون مستقبل أو أمل وبلغة الموسيقى أنه العلامة التي تنذر بنهاية قطعة موسيقية أما اللون الأحمر عند كاندنسكي لون القوة الدالة على العزم وله درجات عديدة وكذلك تأثيرات سيكولوجية مماثلة ، كذلك يرى أن الألوان لها إمكانية إنتاج نفس التأثيرات التي تنتجها الفنون الأخرى بوسائل مختلفة وهكذا تساعد في تكثيف الجو الروحي فبمساعدة الألوان للأشكال يمكن خلق كيان متناسق""( محمود صبري :195،20)0

هذه المظاهر الدلالية للألوان تظهر بشكل أو بأخر عبر الخطابات البصرية المختلفة كما تظهر جلياً في فنون التشكيل الشعبي والفنون التشكيلية الأكاديمية، وكلُ يوظف اللون حسب ما تقتضيه الحاجة الاجتماعية أو الجمالية أو الحاجات المتعددة لتوظيف أحياناً ونجد أن الصفة التركيبية لهذه العلاقة بين الشكل وما يحويه من ألوان يتخذ دلالات الشكل نفسه كذلك هذا التركيب للشكل واللون يخلق نوعاً من التجانس البصري والروحي وخاصة إذا ارتبط اللون بشكل محدد يرتبط بفضاء خابي محدد وسوف نلمح هذا الأمر أثناء استعراضنا لرمزية الألوان ودلالاتها في الخطابات البصرية المختلفة.

هناك دلالات أخرى للون تقدمها لنا الألوان التي تستخدم في الشارات والرايات للإشارة إلى الأمة أو الطائفة . فهي تمثل لأفرادها في الطائفة المحددة معنًىروحياً حيث يدركون دلالة هذا اللون بشكل واعٍ أو مستبطن كما لديهم تجاربهم وخبراتهم الروحية المتجددة تجاه هذا اللون أو ذاك فهم يحملون تجاه الألوان دلالات معرفية متراكمة لقد اكتسبت رمزية الألوان صفة تراكمية كذلك النمط الترابطي الذي تحدثنا عنه سابقاً ينطبق على دلالات الألوان.

إن دلالات للون في الذهن البشري عموماً تتبعت من محكاة الطبيعة والبيئة المحيطة فهناك دلالات لونية اكتسبها الذهن البشري وأخذت الصفة الانتشارية وهذا يرجع إلى وحدة الكون والطبيعة العامة ولقد أطلق العلماء على الحضارات القديمة طفولة الإنسان ,هنا يرون أن التشابه والصفة الانتشارية للرموز تأتي من " وحدة العقل البشري ووحدة التجربة الإنسانية التي أعقبتها معالجات فرضتها الحاجة إلى البقاء والتكيف مع البيئة والطبيعة المحيطة حيث كان هناك تشابه في الظروف المعيشية والحياة الاجتماعية وهذا بدوره خلق وحدة إنسانية ظهرت في الرسوم الجدارية في الكهوف والمنحوتات الحجرية وجاءت الخبرة البصرية الأولى للون من الطبيعة بكل ما تحويه من مخلوقات فكان اللون الأزرق لون السماء والماء الذي ينعكس عليه لون السماء وكان اللون الأحمر يرتبط بالدم والحياة والأخضر للزرع والأسود للظلام وهكذا وهذه الدلالات تلتصق بالذهن البشري وبعد ذلك تتأكد وتتراكم هذه الدلالات للون حسب الموضوعات التي تصبغ عليه الصبغة الدلالية.عند خطاب الأديان استعين باللون كأحد آليات التخاطب البصري للخطاب الديني ومن ثم اكتسبت الألوان رمزية عالية وكما اكتسبت دلالات روحية عميقة وبذلك تطورت وتنوعت القيم الرمزية و الدلالية للون فاصبحت هنالك دلالات روحية مستبطنة تعتبر (تابو) ودلالات ظاهر.

كذلك نجد أن للغة دوراً حيوياً فالثراء الذي تتمتع به اللغة له أثر في ثراء الدلالات لأن الجانب البصري الحسي لاستجابة اللون في معظم الأحيان يمتلك دلالة منطوقة وفكرية فاللغة من أهم الآليات التي تصبغ الدلالة على الرمز وعلى رمزية اللون لذلك كانت هناك علاقة قوية بين اللغة والرموز البصرية عموماً وأن الاهتمام بدراسة الرموز ظهر بشكل مستدرك وكثيف عند علماء اللغة فاهتموا بدراسة الرموز والعلامات والإشارات كما أن المدارس والاتجاهات الفكرية اهتمت أيضاً بأمر دلالة الرمز سواء كان بصرياً أو لغوياً أو مرتبطاً بالأساطير أو الحياة الاجتماعية للمجتمعات مثل المدرسة البنائية وأيضاً الاتجاهات الفلسفية مثل فلسفة التأويل عند غادامر وسوزان لانجر كذلك علماء علم النفس أمثال فرويد ويونج هربرد ميد في التفاعلية الرمزية كل هؤلاء اهتموا بدراسة الرموز ودلالاتها وما تمثله للمجتمعات.

**ماهية دلالة الرمز التشكيلي**

السيميولوجيا او السيميوطيقا علم حديث النشاءة من الناحية المنهجية والتصنيف الموضوعي ولكن جزوره موغلة في القدم " منذ الفكر اليوناني القديم مع افلاطون وارسطو الذا اوليا اهتماماً بنظرية المعنى . اما العرب الرواقيين وصفوا نظرية شاملة في هذا العلم بتميزهم بين الدال والمدلولا والشيء . اما في العصر الحديث فأن اول من استعمل مصطلح السيميوطيقا كان الفيلسوف الانجليزي التجريبي جون لوك(1632–1704) الذي عنى به كعلم تكمن اهميته في الاهتمام بطبيعة الدلائل التي يستعملها العقل بغية فهم الاشياء او نقل معرفته الى الاخرين " ( السيد النفادي : 31 يولويو سبتمبر –2002 ، 49). اما النشاءة الحقيقية لهذا العلم فتاتي من اعلان فرديناند سوسيور منذ حوالي 97 عاما انه ينبغي تشكيل علم جديد اقترح اسمه السيميولجا ويفسرها بانه العلم الذي يدرس حياة الاشارات والرموز وسط الحياة الاجتماعية . يعتبر السيميولجيا semiology ,and والسيموطيقا semioti مصطلحان منقولان من الانجليزية وهما بدورهما منقولان عن الاصل اليوناني semeion بمعنى الاشارة او العلامة لذلك فقد ترجم المصطلحان الى العربية بعلم الاشارة واخرى بعلم العلامات"(السيد نفادي: 2002م:49 ) واعتمدت الترجمة علم السيمولوجيا او السيموطيقيا وترجمها البعض ايضا بعلم السيمياء او السيميائية او الرموزية وهي كلمة قديمة متعارف عليها للدلالة على العلم. فلقد استعمل

سوسيور مصطلح السيمولوجيا وهو الرائد في البحث عن هذا الموضوع ومن ثم انتشر المصطلح في الثقافة الاروبية . اما بيرس فلقد استعمل مصطلح السيموطيقا وتدافع العلماءالذين تناولوا موضوع الرمزية والاشارة والعلامة ودلالالتها كما بحثوا في تصنيف المصطلح ومن الباحثين العرب جميل حمداوي فهو " يفرق بين السيموطيقا التى جعلها دراسة شكلانية للموضوع تمر عبر الشكل لمساءلة الدولال من اجل تحقيق معرفة دقيقة بالمعنى وبين العلم الذي يبحث في انظمة العلامات لغوية كانت او ايقونية او حركية وبالتالي فاذا كانت اللسانيات تدرس الانظمة اللغوية ، فان السيميولوجيا تبحث في العلامات غير اللغوية التي تنشأ في حضن المجتمع

من جهة اخرى لقد فرق مارسيلو داكاس بين ثلاثة انواع من السيميولوجيا :

**النوع الاول** : يطلق عليه اسم السيميولوجيا ويعرفه بقوله " يمكن ان توصف جميع التصورات اليسميولجية بشكل غامض واسماه بعلم الدلائل اي وضع السيمولوجيا في مقام علم له موضوع محدد هو الدلائل وتمثل فلسفة الاشكال الرمزية لكاسيير مثال النمط الاول

**النوع الثاني** : وهي تصورات بديلة للعلم او بلاحرى لعلوم قريبة بما فيه الكفاية من السيملوجيا حسب التعريف السابق " لانها تحمل الاسم نفسه في اغلب الاحوال غير انها تتميز عنها في ذلك سواء لكونها لا تدعي صفة العلم او لانها لا تملك موضوعاً محدداً ولاكنها بلاحرى مناهج قابلة للتطبيق على الموضوعات المختلفة وتمثله مفهوم السيموطيقيا باعتبارها منهجاً من مناهج الفلسفة المعاصرة ""

**النوع الثالث:** لكون السيمولوجيا تعتبر علم منهجي لتأويل المعطيات بمعنى اوسع هذا التاؤيل يتم بواسطة تكون نماذج بنائية ،حيث يرى انهل بمنزلى تأويل لدلالات التجربة في مقابل العناصر البنائيةوهو يشير الا انها ما يسمى بالهرمينوطيقاالفلسفية إنها منهج الاويل يحيلنا الى كلية التجربة المعاشة وليس الى موضوعات متخصصة ويمثل منهج هانس غادمر هذا النوع (السيد النفادي : ، يولويو سبتمبر –2002 ، ص 49).

من جهة اخرى ترى سيزا قاسم ان الابستمولوجيا (مبحث المعرفة ) تتفرع الى فرعين الى فرعيين كبيرين

**:الفرع الاول** : ينطوي على المشكلات الخاصة بعالم الطبيعة ومنه تولدت العلوم الطبيعية

**الفرع الثاني** : ينطوي على المشكلات االخاصة بعالم الحضارة ومن هذا الفرع تتولد العلوم الانسانية ، ولا شك ان كل ما يخص الانسان يتأرجح بين الفرعيين غير ان هناك علمان يخصان الفرع الثاني بشكل ربما يكون الصق به هو علم السيموطيقيا "الهرمينوطيقيا " فهما يتعاملان مع ما ينتجه البشر من وسائل لتحويل محيطم الى محيط انساني واعني محيط ذا دلالة حيث تسعى الاولى الى تعريف العلامات التي يبدعها البشر وتصنيعها وتحليلها بينما تسعى الثانية الى كشف الطرق والوسائل التي تمكن من فهم النصوص ."(

من جهة اخرى ان مصطلح السيموطيقيا اعم لانها تتعامل مع جميع انواع العلامات اما الهيرمينوطيقا فانها الصق يالنصوص التي تبدع في اطار اللغة الطبيعية ، واذا كانت السيموطيقيا الصق بلاطار الاجتماعي فالهرمينوطيقا الصق بالنطاق الفردي .

كما ترى سيزا قاسم ان الاساس ان السيموطيقا والهرمينوطيقا هما في الواقع المنهج الذي يمكن نسلكه لقراءة العلامات او (الرموز) والنصوص " (السيد النفادي : ، يولويو سبتمبر –2002 ، ص 49)

ترتبط الدلالة بالعلامة و الاشارة و الرمز ولكن دلالة الرمز تختلف عن دلالة العلامة او الاشارة ، فخطاب الرمز التشكيلي او البصري تتعلق دلالته بلادراك وبالخبرة الدلالية بشكل عضوي وحيوي ولكن كل العلماء الذين

تناولوا موضوع الدلالة اتفقوا على ان علاقة الرمز بالدلالة ، علاقة مثير اي انها مادة نحسوسة تربط صورتها المعنوية في ادراكنا بصورة مثير اخر تنحصر مهمته في الايحاء تهيأً للاتصال.

ان الارتباك الذي يثار حول مفهوم العلامة او الرمز يجعلهما يشتركان فيي اكثر من منحنى فينما بيار غيرو يرى ان العلامة " على الدوام هي تلك الاشارة الدلالة على ارادة ايصال معنى الايشترك الرمز البصري في خطابه على ايصال معنى ايضا وهذا لايمنع من ان يكون " ثمة قربى عميقة ومسائل مشتركة بين الاتصال المحدد وبين الاددراك والواقع وان الادراك يمكن ان اعتباره(اتصالاً) بين الحقيقة الحسية (الذاتية ) المرسلة للطاقة واعضاء حواسنا التي تتلقاها وهذا ما يدفع بنا الى التفكير ملياً بتسمية تعين في الآن ذاته معنى العلامات (او الاشياء ) والمعاني ويذيد بيار غيرو الامر تعقيداً عندما يشير الى ان " كل الاعراف لا تغدو كونها علامات ، وان العلامة بالتالي هي تلك الاشارة الدالة على رغبة في ايصال معنى . ومن المحتمل ان تكون هذه الرغبة لا واعية مما يستدعي شمولاً اكيد في حقل السيمياء ، ان مركز الدلالات هو في الاواعي البشري فالرمز الذي اطلق عليه في مخيلتي وذاتي معناً ودلالة ، ويطلق عليه شخص اخر دلالة مختلفة حتى ولو كان هذا الرمز ينضم الي منظومة الرموز الاجتماعية او الدينية او غيرها من انظمة الرموز .

ان العلاقة بين الدال والمدلول هي علاقة اصطلاحية وهي بمثابة علاقة السبب بالمسبب وهي تصدر عن توافق بين مستعملي العلاقة ، حتى في حال وجود علامات معللة او اغراض طبيعية تستخدم كعلامات . وغالبً ما يكون الاصطلاح مضمرا او معلنا في الآن ذاته . ان الدلالة المضمرة وهي تلك التي تكون كامنة في الاواعي وحتى وان طرحت بشكل معلن تحمل في جزيئتها مذيداً من الترميز ،ان الرمز او العلامة احادي الدلالة هو اكثر تحديداً من ذلك الذي يكون متعدد الدلالة وهذا ما يجعلنا نستنتج ان التعين الموضوعي هو اكثر تحديداً من التضمين الذاتي مما يستتبع ان تكون علامة او رمز معلنا اكثر تحديداً من علامة مضمرة علامة او رمز واعي اكثر تحيداً ت علامة او رمز لا واعي .

وعليه يرى بيار غيرو " انه كلما كثر غموض الاصطلاح (الدلالة) ازدادت او تناقصت قيمة العلامة تبعاً لمختلف مستعمليها ولهذا للاصطلاح سمة احصائية بحيث انه يتعلق بعدد الافراد الذين يقرون به ويتقبلونه في جماعة معينة . وكلما اتسع وتحدد هذا الاصطلاح كانت قيمة العلامة اكثر ترميزاً هنا تصبح عميلية الترميز بناءً على ذلك وتبعا لاصلها المضمر وهي بمثابة تقدم واستطالة ، فالاستعمال يحدد وينشر الاصطلاح (الدلالة المتفق عليها ) كما يؤدي الي ترميز العلامة ، ويمكن للعلامة ايضاً ان تتحلل من الرموز . هنا نلاحظ ان العلامة المتمردة بين الرمز والعلامة وهي ذات علاقة مطردة بينهما وتتساير الدلالة بين الرمز والعلامة على حسب الاستعمال . ونشير الى ان " ثمة كثير من التسميات وبخاصة الايكلوسكسونية جيث تميز بين العلامات المعللة او الاعتباطية تحت عنوان الايقونات او الرموز . وثمة من يتحدث عن رموز رياضية او منطق رمزي ولا يخفى ما لأستعمال هذه الطريقة من عواقب ، لما تدخله من غموض على استعمال كلمة رمز والواقع ان كلمة رمز كما هو متعارف عليه " تمثل بموجب علاقة تقاربية حسب حديث لالانلاد فالرمز اذا من طبيعة ايقونية تصويية ، هنا نلاحظ احدى امتيازات طبيعة الرمز الدلالية وهو تميزه بطبيعة ايقونية تصويرية وهي سمة وميزة تشير الي ان الرموز ذات طبيعة بصرية وهذا ما نريد البوح به ان الرمز تختلف طبيعته دلالاته حسب تصنيفه في انظمة الرمز المختلفة فنلاحظ انظمة الرموز المنطقية في رايي لا يمكن ان نشير اليها كرموز فهي في الواقع علامات تشير الي معنى محدد نعلمه حسب ما وضعت من

اجله ولكن انظمة الرموز تتميز بتعددية الدلالات ، بيد ان الواقع العملي يؤكد على وجود العديد من الانظمة حيث يرجع الدال الي مدلولات كثيرة وحيث يعبر كل مدلول عن ذاته عبر دلالات متعددة انها حال انظمة الرمز الجمالية والشعرية حيث تهزل قيمة الاصطلاح وتتضاعف الوظيفة الايقونية والعلامة المنفتحة (دلالياً) .

يضع بيار غيرو طريقة تحدد انظمة الرموز والعلامات ذات الدلالة الواحدة اوالمتعددة الدلالات حيث يرى انه يمكن ان يميز ذلك عن طريق مفهوم " التعيين او التضمين حيث يعرف التعيين بانه مكون من المدلول كما هو متعارف عليه اما التضمينات فانها تعبر عن قيم ذاتية تتعلق (بالرمز) او العلامة كونها تؤدي وظيفة معينة ، اضافة الي انها تصنف بشكل خاص وتضمن في ذاتها المدلول الذي يعبر عنه وهما يشكلان نمطي دلالة اساسيين ومتعارضين فالعلوم تنتمي الي نمط التعين بينما الاداب والفنون تنتمي الي نمط التضمين ."(بيار غيرو :ترجمة انطوان، 1984 : 35،37).

هناك نقطة جوهرية لابد من الانتباه لها عند التحدث عن الرموز وهي السياق او الفضاء الخطابي وهو يمثل السياق المكاني للرمز وهو يحفز ويهيء لاطراد الدلالات المتعلقة بالرمز ولقد اشار بيار غيرو الى ذلك بقوله " لا يسعنا الا لتميز بين تعددية دلالات العلامات وتعددية دلالات الرسالة ، والواقع ان الغموض الذي يلف العلامة المتعددة الدلالات يزول حيث توضع في سياقها بينما لا تحوز العلامة في الرسالة الا على معنى واحدة " بيار غيرو :ترجمة انطوان ابي زيد،1984، 37

من جهة اخرى امتدت دراسات بيرس عن لعلامات والرموز حيث تناول تشارلس موريس الابعاد التي تحدد الدلالات وحددها بالبعد التركيبي او النظمي والبعد الدلالي او البعد الوجودي والبعد التداولي او المنطقي او (السياقي ) وكل واحد منهم يتضمن ثلاث علامات ويهمنا في هذه لابعاد البعد الثاني وهو البعد الدلالي والثالث البعد التدولي ، البعد الدلالي هو يعد الموضوع ويتعلق بالدلالة منظورا اليها في علاقاتها بموضوعها الذي تحيل اليه ويتكون هذا البعد من ثلاث علامات فرعية وهي:

**الاول** : الايقونة وهي تشبه الموضوع الذي تمثل والصورة الفوتغرافية مثال لهذا النوع من العلامات

**ثانيا** : القرينة وهي تنسج علاقة مباشرة او ملاصقة مع موضوعها ومثلها الدخان الذي هو اشارة او امارة على وجود النار

**ثالثا** : الرمز وهو يحيل الى موضوعه بفعل قانون او افكار عامة مشتركة وتعد كل علامة تعاقدية او اصطلاحية رمزاً والرمز باعتباره علامة فرعية ثالثة لبعد الموضوع وهو نوعان احداهما مجرد وهو شكل من اشكال منحل عن الرمز الذي يكون موضوعه طابع عام الآخر متميز وهو شكل اخر منحل عن الرمز الذي يكون موضوعه فردا او موجوداً بحيث لا يعني هذا الموضوع الا الطبائع التي يملكها هذا الفرد

**البعد الثالث:** التداولي وهو يعد الموؤل ، ويخص الامر هنا العلامة منظور الها فب علاقتها بالموؤل ويتفرع هذا البعد الى موؤل اول وثان وثالث تبعا لنوعية لعلامة التي يعقدها مع المنظورات الثلاثة " شناوة ال وداي : عامر عبد الرضى الحسيني: ص35

بما اننا ادركنا الفرق بين العلامة والرمز سوف نحدد خصائص الرمز البصري الجمالي ، لقد طابق القرن السادس عشر بين السيمياء والتأويل انطلاقاً من شكل تشابه البحث عن المعنى ، وهو ابرز ما يتشابه . والبحث عن قانون العلامات هو اكتشاف الاشياء المتشابهة.

هنالك عدة عناصر تحدد المسار الدلالي للرمز والعلامة والاشارة واذا ايقننا ان انظمة الرموز وهي عبارة آليات تواصل فان ثمة مسألة اخرى فرضتها شروط الاتصال ."فلاتصال يتألف من رسالة (وحاملها) ومن مرسل ومتلقى ، ومن مرجع ونظام رموز فغياب او حضور كل هذه العناصر يحدد نماذج اتصال خاصة . ومن الضروري ان يكون المتلقي والرسالة موجودين ويمكن ان يغيب المرسل، على ان نظام الرموز يبقى غائباً بشكل عام كونه مضمراً في ذاكرة مستعمليه . لذك يعتبر الاتصال "عنصراً اساسياً في نقل اساليب العمل والفكر والعادات والتقاليد عبر الاجيال المختلفة والاتصال عملية مستمرة منذ بدء الحياة، فايبدا منذ ميلاد الطفل في الايماءات التى تحدث بينه وبين امه وتستمر عملية الاتصال فتتكيف امكاناته حتى يتمكن من التاثير والتاثر بالبيئة المحيطة به .

من جهة اخرى لقد اضافت مدارس علم النفس الكلاسكية لمفهوم الدلالة الكثير والذي من خلاله استطاع المحدثين ان يطوروا نظريات تقصي الدلالة وظهرت اتجاهات فكرية اخضعت الدلالة الي مفاهيم مثل علم التفسير وعلم التأويل وتفرعت عنهما منهجية لايجاد آلية مثالية لتقصي الدلالة والخطاب الدلالي الذي تسعى لتحقيقه .

ان الاضافة الحقيقية التي قدمها مؤسس علم التحليل النفسي سجموند فرويد لنظريات ماهية الرمز بصفة خاصة تكمن اصالته على تنظيم التفاصيل وتطور مجالي التفسير والتاؤيل الدلالي فهو يميز في بين تقنيتين في التأويل احداهما رمزية والاخرى تعتمد على التداعي ،انها تقنية مركبة تعتمد في بعض الجوانب على تداعيات الشخص وتكتمل من جانب اخر على التأويل المعزز بمعرفة المفسر للنظام الرمزي ،واضيف معرفة المفسر للنظام الرمزي في الفضاء الخطابي المحدد ونلاحظ ان فرويد المح الى الخبرة الدلالية او التأويلية للمفسر وهذه نقطة محورية في عملى تفسير الرموز . لقد اسس فرويد تقنيته تلك عن طريق تفسير الاحلام فان الملمح المميز للرمز عند فرويد هو ان معناه لايتغير فالرموز عالمية "والرموز المستخدمة هكذا كثير من منها يتضمن دائما نفس المعنى .

لابد من الاشارة الى الدلالات الباطنة للرمز وهي بعيدة كل البعد عن الدلالات الظاهرة المتعارف عليها والتي يمكن ان تعتبر بالدلالات العالمية وهي لا تتبع للنظام دلالات المفسرين المتفق عليها و هذه التداعيات التي يقوم بها الشخص والمتصلة بلحظة خاصة من حياته ليس لها بطبيعة الحال اية صبغة عالمية . هذه الآلية للتفسير وتاؤيل لدلالة الرمز توضح خاصية يتفرد بها الرمز التشكيلي كونه يتمتع بانظمة تعدد الدلالات وهي خاصية تضفي صفة حيوية تنمو دلالته مع تعدد الافراد وتغير امزجتهم وطرق وآلة تفكيرهم وسوف نستدل على ذلك عندما نتحدث عن علاقة التفكير والادراك في تحرك دلالات الرمز وتفاعلها مع تداعيات وامزجة الافراد .

استند فرويد الى ان مبدأ التداعي النفسي قد يشرح عمليات التحليل (الدلالي) على اساس ان نظرية تغير الدلالة قد عثرت على سند جديد لها في ملمح وصفي يتمثل في ان نغزو الى كل معنى والى كل اسم (حقول تداعياته) التي تسمح بعميلة الانزلاق والاستبدال(الدلالي) على مستوى الاسماء والمعاني معاً .لان هذه الاستبدلات الناجمة عن التداعي تتسم بالتجاور او التشابه فهناك اربع امكانات يرصدها الباحثون وسوف نستعرض اثنان :

**اولا:** تداعيات تجاورية وتشابهية على مستوى الاسم

**ثانيا:** تداعيات تجاورية وتشابهية على مستوى المعنى

اذن ان الميكانيزم النفسي هو الذي يهيمن على التغيرات الدلالية كما تتمثل في مفهوم التداعي الدلالي وهيتمثل وتحدد الفضاء الذي يلعب فيه النشاط الفردي دوراص تعبيرياً سواء كان الامر يتعلق بملىء فجوة حقيقية او اطلاق الفنان للعواطف المحتدمة او اشباع لحاجات تعبيرية ، فأن حقول التداعي تقدم للمادة الاولية التجدد الدلالي . من جهة اخرى ان العمليات النفسية التي يثيرها التداعي هي التي تسمح لنا ان نقرن مبدأ تنظيم وتسمية الانواع بمبدأ شرح العمليات الدلالية وبيان وظائفها.

**الاتصال وعلاقته بتكون دلالة الرمز**

فإن الاتصال تم تعريفه في عدة اتجاهات ، في علم الاجتماع يعرف بانه عملية تفاعل بين طرفيين الى ان تصبح رسالة معينة،فكرة او مهارة او اتجاهاً مشتركاً بينهما وذلك ان علم الاجتماع يتناول الاتصال بوصفه عملية اجتماعية وضرورة من ضروريات الحياة الاجتماعية ذاتها وتخدم في المقام الاول وظيفة التكالمل الاجتماعي .

ان الاتصال في علم النفس يعرفه وارن الى انه " هو نقل انطباع او تاثير من نقطة الى اخرى دون النقل العقلي لمادة ما وقد اشير الى ذلك ، نقل انطباعات البيئة الى (منتج الرمز) او من فرد الاخر ". خيري خليل الجميلي : 1999 : 8 ان القاسم المشترك بينهم ، ان الاتصال هو عملية يعبر بها الفرد او الجماعة عن معنى او مفهوم او خبرات الى غير افراد او جماعات يقتصر الوصول الى فهم لذلك المعنى او المفهوم اذن ان عملية اللاتصال تحتاج الى مرسل او مصدر للمعاني او المفاهيم وهو مصدر الاتصال واخر مستقبل لتلك المعاني والمفاهيم وهو مستلم اللرسالة كذلك تتضمن العملية وجود معنى او مفهوم والذي ترمز اليه الرسالة لمراد ايصالها.

من جهة اخرى يعرف لدونكت : "الاتصال يتم عندما يستجيب لرمز ما ،كما يعرفه ويلي وارايس " ان الاتصال يعني ذلك الميكانزم الذي من خلاله توجد العلاقات الانسانية وتنمو وتتطور الرموز العقلية بواسطة وسائل نشر هذه الرموز عبر المكان واتمرارها عبر الزمان " خيري خليل الجميلي : 1999 : 8

ترى الباحثة ان الاتصال هو العملية الاجتماعية الاساسية طالما كانت المعاني والافكار التي تنتقل بواسطته مؤثرة . كما انه عملية نقل المعاني والدلالات عن طريق الرموز فعندما يتعامل الافرد مع بعضهم البعض بواسطة الرموز فانهم يقومون بعملية الاتصال . اذن يثير التفاعل في بين مشاعر وافكار لكل من المرسل والمستقبل تفاعلاً هادفاً واهمية الجانب الوجداني بالغة لما لها من قوة مؤثرة. من جهة اخرى ان الجانب الوجداني لايكفي وحده لنجاح الاتصال بل يجيب ان يتصل بالعقل والواقع فالجانب الوجداني والعقلي في تفاعل مستمر وهما دائمان في حركة وتغيير . فإن التاثير والتفاعل من جانب المرسل و المستقبل يمكن تسميته المثير والاستجابة اي حدوت فعل من المرسل ورد فعل من المستقبل وهذا الاستمرارية في عملية التاثير والاستجابة او الفعل ورد الفعل وهوو ما ينشىء عملية التفاعل.

ان الدلالة في اطارها الموضوعي تشير الى معنى ويتفق البعض ان مفهوم (المعنى) هو الفكرة التى يمثلها الرمز او الفكرة والتي يمكن ان تنسب الى موضوع التفكير كما ان استطراد المعاني في الرمز الواحد يشير الي ان المعنى يتعلق بعلاقة وهذه العلاقة تغلف كل معنى بمعنى جديد ، واذا كانت السيمياء علم العلامات اذا

توجب ان تشمل كل المعرفة لان كل شيء علامة وكل شيء ذا مدلول وكل شيء اذن دال وبذلك يصبح كل ما حولنا خاضعاً لانظمة علامات ورموز تصنف حسب وظائفها واستعمالاتها.

**الانظمة الدلالية للرموز الجمالية**

الواقع ان العلاقة بين الشيء الجمالي ودلالته لاتعطي الا كتاكيد مباشر ومضمر, واذا عدنا الي موضوع الرمز باعتباره رسالة ، فأن الرسالة الجمالية " شبيهة بالرسالة السريالية او الفوق واقعية والامرئية او الفائقة الوصف او شبيهة بحقيقة عجزت العلامات التقنية الى الان عن التعبير عنها رمزياً ، فالمعنى المنطقي لذلك منظم تنظيماً رمزياً مغلقاً (ويحتويه غموض ) كما يحتويه نظام رمزي تماماً من حيث التمثيل الجمالي لا يناله التنظيم الرمزي الا جزيئاً ويظل حقل العلامات متفاوتة الانفتاح . يخضع لتاؤيل المتلقي.

لابد من الانتباه الى درجات الترميز وبالتالى الى النظام الدلالي الذي يتعلق بها ويراعى اختلاف العصور والحضارات واثقافات وامزجة الذين يدورون في الفضاء الخطابي لانظمة الرموز .ان التعددية في انظمة الرموز" هي في الاساس علوم التفسير، وهي انظمة تاؤيل وتحليل رموز في حين ان نظام الرموز هي معطى الرسالة الذي اداه المرسل بشكل علني يظل علم التفسير اشبه بشبكة يحملها المتلقي ( شبكة فلسفية، جمالية ، مزاجية ، ثقافية او ذات اصول عقائدية) يطبقها على النص الرمزي المعطى ، سواء كان رمزا بصراً او لغوياً . اذن الرسالة الجمالية تصبح قيمتها كامنة في ذاتها انها شيء ورسالة – شيء في الان ذاته وتشكل فرضية الدال الجمالي .... على ان العلامات ( الرمزية ) الجمالية لطبيعتها الايقونية (البصرية – التصويرية ) هي اقل اصطلاحا وترميزاً من العلامات المنطقية (كالعلامات الرياضية )" (خيري خليل الجميلي ، 1999 ،،ص92

ان انظمة الرموز الجمالية عند تحليلها عبر مفهوم الاواعي الفردي والجمالي يتبين عمقها الدلالي فطبيعتها الغامضة والحيوية والساكنة في آن واحد وبشكل ظاهري هي في الواقعمتجزرة في بـُنى متلاحمة ، وانظمة رموز عميقة والتي منها تنهل العلامات قيمتها . وان هذه الانظمة الجمالية تؤدي وظيفة ثنائية فهي شكل من اشكال تمثل المجهول ومهمتها القبض على الامرئي وعلى الفائق الوصف والاعقلاني ، وبشكل عام تلتقط التجربة النفسية التجريدية عبر اختبار الحواس الملموس" (ريجيس دوبري:ترجمة فريد الزاهي ،2000،ص 49) اذن الدلالة ليست فقط ايجاد معنى لشيء وانما هي اضفاء خبرات وتجارب ذاتية لافراد حول صياغاتهم لدلالات ذاتية عن الاشياء . ان نورثورب فراي وهو احد اساتذة النقد يوضح ان الدلالة الذاتية للرمز " تمثل النماذج المثالية (رزم) تداعيات افكار ومجموعات متغيرة الدلالة تمتاز عن العلامات بهذه الصفة وتتضمن هذه المجموعات او الرزم اعداد كبيرة من التداعيات مدلولا عليها او ما تزال قيد اكتسابها الدلالة. وهذا يوضح لنا ماهية الاختلاف الدلالي بين العلامة او الاشارة والرمز التشكيلي والجمالي .

نخصل الى ان هناك مبدا لابد من توافره في المتلقي للرمز التشكيلي حيث يعتبر الوسيط المتوقع بين الرمز والدلالة وفي نفس الوقت المنتج الاول للدلالة . فلابد من قياس وعيه التام او عدم وعيه الظاهري لخطاب الرمز التشكيلي وهذا الامر يحدد لنا امكانيات العثور على جماليات التلقي والتاؤيل والتفسير الذاتي لخطاب الرمز والذي بدوره يقود الى الدلالة سواء كانت دلالة باطنة او ظاهرة او متعارف عليها ، ولابد لمتلقي الرمز ان يتمتع بخبرة رمزية دلالية وذاتية عالية اضافة للخبرات الحسية والبصرية وامكانية تكون الصور الذهنية لديه ، حيث ان الخطاب الرمزي البصري يعتمد على مرجعية الاسس المعرفية التي ينطلق منها . هذا الامر ينبه

الي حقيقة المتلقى للرمز في الفضاء الخطابي المعني اجتماعي او ديني او احتفالي او طقسي او اي سياق بصري. ايضا لابد له من توافر خبرة دلالية بكل ما يحيط به، ومن ناحية اخرى ان عمليات التداعي هي عمليات باطنة وناتجة عن اللاشعور ويظهر امتياز الرمز التشكيلي في كونه يمتلك دلالات عامة تتعلق بفضائه المكاني والزماني ودلالات خاصة تعود الى عمليات التداعي الدلالي. ان مفهوم الحوار الدلالي ينتج لدى المتلقي عندما يستثار بكم من الرموز البصرية والتى بدورها تدفعه الى اجراء حوار دلالي ذاتي وهي تتمثل في القراءة البصرية لكم الرموز ومن ثم ادارة الحوار الذاتي والذهني لدى المتلقي واجراء عمليات تكّون الدلالات لخطاب الرمز المعني و يتحقق ذلك بشكل مثالي في تلقي الرمز التشكيلي في منظومة الخطاب الرمزي الاحتفالي او الطقسي .

في عالم الحداثة وجب على الفرد أن يتكيف مع البيئة الكلية (البيئة العالمية ) فهناك ثروات وسوق من الرموز لزاماً أن يدرك ويحس باعتباره من المخزون الثقافي العالمي يخلق باستمرار عمليات تأثير وتأثر وهذا يوثر سلبا وايجابا على الثقافات الاقليمية.

**المراجع :**

1- احمد عزت را جح اصول علم النفس العام الطبعة الحادية عشر- مصر- دار المعارف :1999.

2- عبد الرحمن عيسوي – دراسات في علم النفس الاجتماعي – دار المعرفة الجامعية – الاسكندرية – الطبعة الاولى – 1990"

3- أميرة حلمي مطر مقدمة في علم الجمال:الطبعة الاولى- القاهرة – دار المعارف – 1998. "

4- السيد النفادي- السيموطيقيا وعلاقتها بالفلسفة والعلم عند كاراب – مجلة عالم الفكر –العدد الاول المجلد 31 يولويو سبتمبر –2002 .

5-- بيار غيرو – ترجمة انطوان ابي زيد علم السمياء- الطبعة الاولى –لبنان 1984

6- ريجس دوبري ترجمة – فؤاد زاهي- حياة وكوت الصورة – بيروت- الطبعة الاولى 2000

7- طلعت ابراهيم لطفي واخرون – النظرية المعاصرة في علم الاجتماع- بيروت دار الثقافة –الطبعة الاولى 1999.